بسم الله الرحمن الرحيم

**خطبة الجمعة 04-11-2011م** **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

# سلسلة قرأتُ في كتاب

# ((الدستور الإسلامي))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيٍّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله.

أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته وأستفتح بالذي هو خير :

**قال الله تعالى:** ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب:36].

**وقال سبحانه:** ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 49-50]

**وقال سبحانه:** ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف 54].

**قال رسولَ الله صلى الله عليه وسلم:** ((تَرَكْتُ فيكُمْ أَمْرَيْنِ لنْ تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما: كتابَ الله، وسنّة رسولِهِ)). [مالك في الموطأ]

وخطب رسول الله في يوم عرفة الناس فكان مما قال: ((وقد تَرَكْتُ فيكم ما لن تَضِلُّوا بعده، إن اعتصمتم به، كتاب الله ))

**قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ سَنَّ فِي الإِسلامِ سنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدَهُ، مِنْ غَيرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورهِمْ شَيءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ))** [مسلم].

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة العاشرة في سلسلة (**قرأت في كتاب**)، أختار لكم فيها فوائد منثورة في كتب قرأتها أو بعضها، ليفيد المرء علماً وعملاً.

عنوان خطبة اليوم: (الدستور الإسلامي)

أحدثكم فيها عن معنى الدستور، ومتى يكون الدستور إسلاميا.

قرأت في كتابين أحدهما عنوانه: ( **تدوين الدستور الإسلامي** ) لأبي الأعلى المودودي العالم الهندي الشهير صاحب السبعين مؤلفا، والتي ترجمت إلى ست عشرة لغة، والآخر عنوانه: (**الإسلام والدستور**) لتوفيق بن عبد العزيز السديري، والكتاب في أصله رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، قرأت في هذين الكتابين كلاما مفيدا معرفا بالدستور.

يقول صاحب كتاب الإسلام والدستور: (الدستور لأي دولة كانت يعبر عن فكر تلك الدولة واتجاهها الديني والاجتماعي؛ لأن الدستور هو القانون المهيمن، والموجه لقوانين تلك الدولة ونظمها.

والدستور كلمة فارسية تعني الدفتر الذي تكتب فيه أسماء الجند، والذي تجمع فيه قوانين الملك.

ويعرف الدستور اصطلاحا: بأنه مجموعة الأحكام التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها، وسلطاتها، وطريقة توزيع هذه السلطات، وبيان اختصاصاتها، وبيان حقوق المواطنين وواجباتهم.

ويعتبر الدستور أهم القوانين السارية في الدولة، بل هو أساس هذه القوانين، ويجب ألا تخالف القوانين حكما أو أحكاما دستورية.

وللدستور أنواع فهو جامد ومرن من جهة وهو مدون وغير مدون من جهة أخرى.

ويجب أن يحتوي كل دستور على مقومات رئيسة، وهي بشكل عام القواعد التي تبين شكل الدولة، ونوع نظام الحكم فيها وتحديد السلطات العامة، وعلاقتها ببعضها، وحقوق وواجبات الأفراد تجاه الدولة.)

ولقد عدد الشيخ أبو الأعلى المودودي في كتابه تسع مسائل يجيب عليها الدستور هي:

- لمن الحكم ؟
- ما حدود تصرفات الدولة ؟
- ما الحدود التي تعمل السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية في حيزها؟
- ما الغاية التي تقوم لأجلها الدولة ؟
- كيف تؤلف الحكومة لتسير نظام الدولة ؟
- ما الصفات التي يتحلى بها القائمون بأمر الحكومة؟
- ما أسس المواطنة وبأي طريق يصبح الفرد عضوا في كيان الدولة؟
- ما الحقوق الرئيسة لمواطني الدولة؟
- ما حقوق الدولة على المواطنين؟

هذا أيها الإخوة تعريف عام بالدستور، وهو الشطر الأول من الخطبة، أما الشطر الثاني فحديث عن الدستور الإسلامي.

ويمكن أن يعرف الدستور في الإسلام بتعريفين: أحدهما عام، والآخر خاص:

أ – **التعريف العام**: الدستور في الإسلام هو مجموعة القواعد والأحكام العامة الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، التي تنظم المبادئ الرئيسة لحياة الناس.

فالدستور الإسلامي بهذا التعريف العام ثابت على مدى الزمن، لا يمكن تعديله، أو تغييره، أو إلغاؤه بحال؛ لأنه وحي من الله وليس لبشر أن يغير في الوحي أو يبدل، والمسلم لا يرتضي بالقرآن وسنة نبيه بديلاً

كل الهدى والنور في محكم القرآن

ما غيره دستور يرضى لنا الرحمن

دستورنا دستورنا دستورنا القرآن

ب- **أما التعريف الخاص للدستور في الإسلام**: فهو مجموعة القواعد والأحكام الأساسية في الدولة، التي تبين نظام الحكم وشكل الدولة، والسلطات العامة فيها، والأشخاص والهيئات التي تتولى هذه السلطات، وارتباطها ببعضها، وبيان حقوق الأفراد، وواجباتهم، صادرة في ذلك عن مبادئ الإسلام العامة، وتنظيماته في الشؤون الدستورية.

وهذا التعريف الخاص هو الذي يلتقي مع تعريف فقهاء القانون للدستور مع إضافة ضابط:(أن تصدر مقومات الدستور عن مبادئ الإسلام العامة وأن لا تخالف تعاليمه )

وهذا الدستور بالمعنى الخاص من الممكن أن يتغير ويتبدل من مكان لآخر أو من زمن لآخر، ويكون إسلاميا إذا لم يخالف قواعد الإسلام وشرائعه.

إذن الأحكام الدستورية الإسلامية قسمان، قسم ثابت وقسم غير ثابت، الأحكام والقواعد الثابتة لا تتغير مدى الزمن، سواء دونت فيما يسمى بوثيقة الدستور أم لم تدون،

بل لم يثبت تدوينها على مر التاريخ الإسلامي، إذ ليس هناك حاجة إلى تدوينها ما دامت ثابتة في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع المسلمين

وسواء دونت هذه الأحكام أم لا فإن لها السمو على جميع القوانين والأحكام دستوريها وغير دستوريها ؛ لأنها وحي من الله لا يسمو فوق حكمه حكم.

**أيها الإخوة:**

يتألف الدستور السوري من ست وخمسين ومائة مادة، وقد صدر سنة 1973، وفيه مواد مهمة متعلقة بحقوق المواطن وواجباته، ومن أهم مواده مادته الثالثة وفيها نص على أن دين رئيس الجمهورية الإسلام، وأن الفقه الإسلامي مصدر رئيسي للتشريع ــ ولو كان التعبير بقولهم: الفقه الإسلامي المصدر الرئيس للتشريع؛ لكان أجود ــ، أما مادته الرابعة فتنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية, وهاتان المادتان لا يستغنى عنهما.

وفي هذا الدستور مواد بحاجة إلى تبديل أو حذف أو تغيير؛ وهذا شأن ما يصنعه البشر.

أيها الإخوة:

أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**يقول الله عز وجل: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.**

**وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي**)). [ابن مردويه وابن كثير]

و الحمد لله رب العالمين